المبحث الثالث

أثر علاقة أفريقيا بالغرب على التقسيم الطبقي والتكوين الإثني

تحتل قضية التقسيم الطبقى للمجتمع والأسس التى يستند إليها هذا التقسيم أولوية فى رؤى وتصورات المفكرين ذوى التوجه الاشتراكى، ويتخذ أنصار هذا التوجه من النشاط الاقتصادى معياراً وأساساً للتقسيم الطبقى فى المجتمع، لذلك استحوذت العلاقة بين التقسيم الطبقى والتكوين الإثنى واللونى على اهتمام رودنى، وكان اهتمامه بدراسة تلك العلاقة كأحد أبعاد دراسة طبيعة العلاقة بين أفريقيا والغرب، محاولاً التأكيد على استخدام الغرب لهذه الاختلافات الإثنية واللونية وتوضيح الهدف من ذلك، وكيف كان لهذه التعددية تأثيرها على التقسيم الطبقى داخل المجتمع[1].

(١) تقسيم المجتمع على أساس اللون يعتبر نمطاً مميزاً من التعددية، وهناك نوعان من التعددية :

-**التعددية الثقافية**: حيث توجد عدة ثقافات داخل مجتمع واحد، أو عدد من الثقافات الفرعية المنبثقة عن ثقافة واحدة داخل المجتمع الواحد.

-**التعددية الاجتماعية**: أى وجود جماعات إثنية مختلفة لكل منها مؤسسات خاصة بها داخل المجتمع، ويشترك بعض هذه المؤسسات فى الهيكل والتشكيل مع مؤسسات أخرى، لكن الاختلاف يكون فى الهدف والوظيفة .

حدد فان دن بيرغ سمات سبع ترتبط بمفهوم التعددية وهى: الغياب النسبى للإجماع على القيم، الوجود النسبى للصراعات بين الجماعات، الاستقلال النسبى بين أجزاء النظام الاجتماعى، الأهمية النسبية للإكراه والتداخل الاقتصادى كأساسين للاندماج الاجتماعى، السيطرة النسبية لجماعة على الجماعات الأخرى، غلبة الطابع الفئوى والنفعية والوظيفية على العلاقات بين الجماعات . انظر:

- إبراهيم أحمد عبد المنعم نصر الدين: **حركات التحرر الأفريقي فى مواجهة النظام السياسي لجنوب أفريقيا**، رسالة دكتوراه (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٠)، ص ٢.

وحتى يتسنى لرودنى دراسة هذه العلاقة اعتمد على ما أطلق عليه «نظرية النشوء التاريخى للطبقة العاملة»، والتى تعتمد على تتبع تاريخى للطبقة العاملة وتطورها، أو ما يطلق عليه Creolization، وهو الطريقة التى استخدمها فى الدراسة التطبيقية للعديد من الدول، ويؤكد على أن فهم النشوء التاريخى سيوضح لنا كيف حدثت العنصرية والانشقاق بين الطبقة العاملة[1]. وسيتم تناول ذلك فى :

المطلب الأول: العلاقة بين التكوينات الإثنية والهيكل الطبقى.

المطلب الثانى: دلالات وآثار ونتائج 'لتقسيم الطبقى على الواقع الاجتماعى.

المطلب الأول: العلاقة بين التكوينات الإثنية والهيكل الطبقى

قام رودنى بالعديد من الدراسات حول المجتمعات الأفريقية والكاريبية للوقوف على هيكل الطبقات الموجود بها، وعلاقته بالتكوين اللونى والإثنى فى هذه المجتمعات، وكان اهتمامه منصباً على دراسة موقع الجماعة السوداء فى الهيكل الاجتماعى فى هذه المجتمعات، كما حاول أيضاً تحليل إمكانية الحراك الاجتماعى فى هذه المجتمعات والوحدة بين أعضاء الطبقة العاملة لتكوين طبقة عاملة على درجة من الوعى تستطيع قيادة الصراع الاجتماعى الذى يكون مسئولاً عن التطور الاجتماعى والطبقى فى هذه المجتمعات، وما هو أثر الخبرة التاريخية على ذلك التقسيم الطبقى. فعند حديثه عن الوضع فى جويانا يقول: «لقد كان أكثر من حزب سياسي هم المسؤولون عن أزمة العلاقات الإثنية فى هذه الدولة، وأظن أن قيادتنا هى من أوقعتنا فى تلك المحنة، وأرى أن التدخل الخارجى كان له دوره فى وضع تلك الإثنيات فى مواجهة بعضها البعض منذ الخمسينيات والسنوات الأولى من

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.119 & 120.
& Walter Rodney: **A History of the Guyanese Working People, 1881-1905** (Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1981), pp.174-176.

الستينيات، ولكننى أهتم بالموقف الحاضر، فقد قمنا بذلك الخطأ مرة سابقة، وأعتقد أننا غير مهيئين لأن نقوم بذلك الخطأ مرة أخرى، ولن يقبل الهندوجويانى أو الأفروجويانى العادى أن يتم السقوط فى خطأ أسطورة الإثنية، ولن نفعل ذلك الخطأ مرة أخرى»[1]، والقاسم المشترك بين الرؤى التى قدمها حول هذه المجتمعات هو تقسيمه المجتمع إلى ثلاث طبقات، ومحاولته الدائمة إيجاد الأسس الإثنية واللونية لهذه الطبقات، وهذه الطبقات هى:

أولاً: الطبقة العليا:

هى الطبقة أو المجموعة التى تأتى على سدة الحكم، وأساس هذه الطبقة عند رودنى هو المجموعة التى ورثت السلطة بعد نهاية الفترة الاستعمارية، ويؤكد على أن تلك الفئة تعلى من القيم الغربية، وهى تتبع الرأسمالية، فقد نشأت على القيم والثقافة الغربية الرأسمالية، واستطاعت الأخيرة أن تجعل المصلحة الفردية هى الأكثر أهمية عند هذه الفئة من المصلحة الجماعية[2]، ويطلق رودنى على هذه الفئة «البرجوازية الصغيرة» وهم «سود البشرة ذو قلوب بيضاء»[3]، وأشار إليهم فى بعض المجتمعات على أنهم: «الرجال الذين يخدمون مصالح الأجنبى والنظام الرأسمالى العالمى الأبيض، وهم فى موطنهم يدعمون النظام الاجتماعى الذى يؤكد على أن الإنسان الأسود لابد أن يظل قابعاً فى قاع السلم الاجتماعى»[4]، ولم يتناول رودنى أساساً إثنياً أو لونياً أو نشاطاً اقتصادياً بعينه لهذه الفئة، ولكنها فئة وصلت إلى الحكم دون النظر إلى كونها من السود أو الملونين أو البيض فى بعض الحالات، وتسود منظومة القيم الغربية فى تلك المجموعة، ولذا يؤكد رودنى على أنه لا

(1) Nigel Westmaas: **op.cit.,** p.6.

(٢) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٣٢٨-٣٤٠.

(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.34.

(4) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.165.

يستطيع إنسان أسود أن يرى أسوداً آخر سوى من خلال الإنسان الأبيض، بمعنى سيطرة المنظور الأبيض للأمور على عقلية وتوجه هذه الفئات[1]، وقد تم إعداد تلك الطبقة من قِبل الرأسمالية من خلال عدة أدوات استعمارية، وكان الهدف هو أن تظل تلك الطبقة فى خدمة مصالح الغرب، وأن تظل العلاقة الاستغلالية قائمة، ويصبح الاستقلال شكلياً، ولذا كان يجب أن تمنع ظهور طبقات البروليتاريا الوطنية، وإغلاق سُبل التعبير الاجتماعى والمشاركة السياسية[2].

وقد قدم رودنى بعض الأسس والأسانيد التى تحاول هذه الفئة الارتكان إليها فى تبرير حكمها ووجودها على سدة الحكم، ووصف هذه الأسانيد بأنها عادة ما تكون أسطورية، ولا تستند إلى أسس مقبولة، فقد رفعت هذه الفئات العديد من الشعارات التى تقول: «إننا مجتمع متعدد إثنياً، لكننا مجتمع واحد» كما كان الحال فى جاميكا، أو الاستناد إلى توجه أيديولوجى واستغلال التنافس الأيديولوجى العالمى مثل عيدى أمين فى أوغندا، ومانجستو فى إثيوبيا، وكذلك سياد برى وموبوتو، وفى بعض الحالات كانت تحاول تعبئة الشعب خلف نماذج وطنية جاعلة منهم أبطالاً وطنيين، كما حاول بعض المجتمعات الأخرى أن يلصق بالحاكم سمات الشخصيات الكاريزمية أو صفات وطنية مع أن ذلك الحاكم كان له نمط الديكتاتور فى العديد من المجتمعات[3].

ويؤكد رودنى على افتقاد العديد من هذه النظم لشرعية الوصول للسلطة، وكذلك شرعية الاستمرار فى الحكم[4]، بينما يرتبط استمرارها بسيطرتها على أدوات القهر كالجيش والبوليس، وكذلك استمرار الدعم الغربى لها، وتؤدى سياساتها

(1) **Ibid,** p.34 & 35.
(2) **Ibid,** p.12.
(3) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **op.cit.,** p.14 & 15. & - Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.12.
(4) Clive Thomas: **op.cit.,** p.6.

الاقتصادية عادة إلى اتساع الفجوة بين من يملكون ومن لا يملكون؛ لأن سياستها لا تخدم المواطنين والعمال، بل يكون الهدف منها هو خدمة مصالح فئة بعينها، ويؤكد على زيف شعارات التنمية أو الاشتراكية التى ترفعها تلك الفئة، فهى فقط شعارات لا تحتوى على محاولات العدل الاجتماعى أو المساواة، فهى اشتراكية زائفة لا تحتوى على السياسات الاشتراكية سوى فى محاولات التأميم والتى عادة ما تكون فاسدة لا تهدف لخدمة عامة الشعب[١].

وقد كان لبعض تلك البرجوازيات دور فى حركات التحرير حسب تصور رودنى، وبعد الحصول على الاستقلال سعت إلى تحقيق مصالحها الخاصة، بمعنى أنها غلبت القيم الفردية على حساب القيم الجماعية، ويؤكد: «كان بروز مفهوم الفردية من أخطر النتائج التى سببت آثاراً تدميرية فى المجتمع الأفريقي...لأنه يمكن القول بأنه فى المجتمعات الغربية قد أدى بروز الطبقة البرجوازية إلى إفادة الطبقة العاملة بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال التطور التكنولوجى الذى حدث، وتقدم وارتفاع مستويات المعيشة، ولكن فى أفريقيا لم تسمح أوروبا بحدوث مثل تلك الفوائد، فقد كانت تهدف إلى تكثيف معدلات استغلال الطبقة العاملة الأفريقية، وأن تقوم بتصدير الفائض»[٢]، بل يؤكد على أنها استخدمت تيارات فكرية كالزنوجة والوحدة الأفريقية فى إعلانها عن تكوين هيئات ومؤسسات يصفها رودنى بأنها مؤسسات «عقيمة» أو «معتلة» أدت إلى زيادة التعصب السياسي بين الإثنيات، ولم تكن هذه المؤسسات قادرة على مواجهة الرأسمالية والإمبريالية[٣].

ولم تكن البرجوازية الصغيرة بالفئة الملتزمة أو المتعهدة بالتغيير والتطوير، وبدأت

(1) **Idem. &** - Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.60.
(2) Immanuel Wallerstein: **op.cit.,** p.333.
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117.

فى توسيع سيطرتها الاقتصادية فى مقابل تنازلها عن العديد من الاختصاصات السياسية لصالح أطراف خارجية، لذا: «فهى طبقة حاكمة لها مصالح وأهداف تختلف عن تلك التى للمواطنين والعمال، ولم يكن لهذه البرجوازية قوى تقدمية، ولم تحاول الوصول إلى المساواة والعدل الاجتماعى فى أفريقيا والكاريبي»[1]، بل حاولت هذه الفئات أن تستخدم الانقسامات التى بين الشعب لتخليد بقائها فى السلطة، إذ يقول رودنى: «النظام لا يتوقف عن التمييز الإثنى، فهو نظام قهرى طبقى، هو فقط يقوم بالخداع عندما يضع هذه الطبقات تحت التقسيم الإثنى، وفى النهاية سوف يتحرك ضد أى لون حتى لو كان اللون الذى ينتمى إليه...لأنه عندما ينمو ذاك المسَخ لن تصبح هناك قدرة للتحكم فيه، لأنه سوف يلتهم حتى من كانوا مسؤولين عن تكوينه»[2].

وبسبب أن هذه الفئة لم تنشأ على أساس طبقى أو نشاط اقتصادى فإنها ستظل تدافع عن مصالح فئة محدودة هى الحكام والتابعون لهم، لذلك تنبأ رودنى بتحول هذا الفئة إلى نمط الحكم الديكتاتورى فى الغالب؛ لأنها ستسىء استخدام الاقتصاد الوطنى وأدوات تشكيل الوعى (الصحافة–التليفزيون–المؤسسات التعليمية....)، وعلى إثر ذلك سيغلب الطابع المسلح على المجتمع، إلى جانب افتقاد الفئة الحاكمة الثقة فى كل ما هو غير أبيض. ومع استمرار سيطرة وتسلط حزب الأقلية الحاكمة على أدوات وهيئات ومنظمات الدولة فإن ذلك سيؤدى إلى اختفاء الحدود بين ما هو عام وما هو خاص[3]، وستصبح الدولة منطقة نفوذ للديكتاتور، ولذا يؤكد رودنى: «أن الشعب الأبيض سوف ينتج شعباً أسوداً يدير ويخلد النظام الاستعمارى، ويخلد القيم البيضاء»[4]، ويؤكد أيضاً: «أن السود والهنود الذين استغلوا سوداً وهنوداً

(1) Walter Rodney: Toward Sixth Pan African Congress....., **op.cit.,** p.732 &733.
(2) Nigel Westmaas**: op.cit.,** p.3.
(3) Clive Thomas: **op.cit.,** p.10.
(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.32.
& - Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.66.

آخرين لم يظُهروا القيم والمبادئ التى لهم، ولا يستطيعون أن يفعلوا ذلك بسبب مصالحهم الفردية، لكن يحدث ذلك الاستغلال بسبب خداع البيض لهم حتى يتصرفوا ضد مصالحهم الخاصة أو ضد أبناء جنسهم»[1]، وتصبح النتيجة التى توصل إليها: «أن قيادة الطبقة البرجوازية الأفريقية الصغيرة منذ الاستقلال قد شكلت عائقاً أمام نمو الثورة الأفريقية، وتوضيح ذلك يكون من خلال نهج طليعة حركة الجامعة الأفريقية (التى برزت من المؤتمر الخامس) التى فقدت اتجاهها، وانغمست فى الاتجاهات النظرية والممارسات البرجوازية»[2].

ثانياً: الطبقة الوسطى وتكوينها الإثنى:

لم يُبد رودنى اهتماماً بدراسة الطبقة الوسطى يعادل اهتمامه بالطبقتين العليا والدنيا، ويمكن تفسير ذلك فى ضوء التوجه الاشتراكى الذى يتبناه، وكذلك تحت تأثير طبيعة المجتمعات التى عاش فيها والتى عادة ما انقسمت إلى طبقتين إحداهما تحكم والأخرى هى الطبقة المقهورة المحكومة، وبسبب اهتمامه بالأسس والأصول الإثنية واللونية وعلاقتها بالتقسيم الطبقى حدد رودنى العديد من الجماعات التى يمكن أن تشكل أساس الطبقة الوسطى، ومن أهمها الفئات الملونة Brown التى لا تصل للقهر الذى يتعرض له الأفريقى، وفى ذات الوقت لا تصل هذه الجماعات لرفاهية الطبقة الحاكمة، وتضم هذه الطبقة أحياناً بعض الجماعات السوداء الذين وضُعوا ليشكلوا خروجاً عن الجماعات السوداء، فعندما ترتبط فئة بهذه الطبقة المسيطرة لا يكون هناك اهتمام باللون، ولكن تصبح فقط مستغلة للسود، ولا يصبح أعضاء هذه الفئات من بين أعضاء الطبقة المسيطرة كطبقة، لكنهم انضموا لـ«هيكل القوة البيضاء» بمفاهيم النشاط الاقتصادى والثقافى، وباتباعهم لقيم بيضاء، بل

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.115.
(2) Walter Rodney: Toward Sixth Pan African Congress……., **op.cit.,** p.735.

وبتلك السياسات يخلدون كل ما هو أبيض ويتبعونه[١]، وقد ارتفعت نسبة هؤلاء السود فى سبعينيات القرن العشرين، فهم ملاك المشروعات والاستثمارات الصغيرة التى ظهرت بعد الاستقلال[٢].

وقد أطلق رودنى على هذه الفئة ومن نتج عنها «المهاجرين» Immigrants وأحياناً الخلاسيين أو المخلطين Mul attos وذلك تمييزاً لها عن السود ومن انحدر منهم«الكريول» Creole، حيث يقول رودنى عنهم: «هم خدام الإمبريالية والرأسمالية، ويتسم الإنسان الملون بالغموض والتناقض، وقد سقطت أغلبيتهم فى فخ الإمبريالية البيضاء، بل وتفوق بعضهم على البيض فى كره واستغلال وقهر السود فى بعض الأحيان، فهم لا يقبلون أن يُصنفوا كسود، ولكنهم يريدون أن يصنفوا كبيض»[٣]، ويعول رودنى على الفئات التى فى الطبقة فى استخدامها كأداة وكعقبة فى منع الوحدة الطبقية بين الطبقة العاملة، لذا ففى الكتابات الأولى لرودنى لا يصنف هذه الفئات كطبقات عاملة؛ لأن الأخيرة كانت تساوى الطبقة السوداء المقهورة فقط مستبعداً البيض والملونين من هذه الطبقة، ويؤكد على أن الملونين وسيط غير حيادى بين الأفارقة والطبقة الحاكمة[٤].

وقد حدث تحول فى الرؤى والتصورات التى قدمها رودنى فى الكتابات الأخيرة التى أنتجها، إذ اختفت الطبقة الوسطى من رؤيته حول التقسيم الطبقى لصالح الحديث عن طبقة واحدة عمالية تضم ما هو غير أبيض بجميع الفئات، وتراجعت معايير الإثنية واللونية التى كانت السبب فى استبعاده لفئات من الطبقة العاملة[٥]

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.115.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.12.
(3) **Ibid,** p.29.
(4) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.125 & 126. & - Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People, 1881-1905, **op.cit.,** p.179 & 180.
(5) Compare between :
-Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People 1881-1905, **op.cit.,** pp.174-190. **&**
-Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.24-34.

ليصبح التقسيم الطبقى عنده بين طبقة تحكم وطبقة أخرى تُحكم، ولونياً بين الأبيض (الأبيض وذوى القلوب البيضاء) فى مقابل الأسود، والأخير عند رودنى يصبح «الأسود= غير الأبيض= من لا قوة له» [١]، ولذا يقول: «خضع الهنود ليصبحوا رقاً جديداً...ويمكننا الآن أن نتحدث إلى الجماهير السوداء سواء من الأفارقة أو الهنود، فعندما أتى الهنود إلى غرب الإنديز لاقوا ذات الازدراء الإثنى من البيض مثل الأفارقة...وهناك بعض الخوف من أن القوة السوداء ستكون ضد الهنود، ولكن ذلك ستناقضه أفكار واضحة بسبب عاملى الخبرة التاريخية والمشهد السياسي الواقعى»[٢].

ويمكن القول بأن التحول الذى حدث فى رؤى وتصورات رودنى أبعده عن تيار الماركسيين الجدد فى التقسيم الطبقى لصالح العودة للأخذ بالاشتراكية الماركسية، فقد أكد على أنه من الأهمية رفع مستوى الوعى الطبقى للوصول للوحدة الطبقية بين العمال لمواجهة الطبقة الحاكمة وخدام الرأسمالية العالمية من الأفارقة والهنود لصالح طبقة عاملة واحدة[٣].

ثالثاً: الطبقة الدنيا وتكوينها الإثنى:

من أكثر الطبقات التى اهتم رودنى بدراستها وتحليل الأسس الإثنية التى تقوم عليها، حيث يرى أنها الطبقة التى جاء تكوينها فى فترة تجارة الرقيق فى الكاريبي، ومن العمال الذين أتوا بعقود للعمل بعد نهاية فترة الرق، وهى الطبقة التى لاقت أسوأ الخبرات العنصرية فى أفريقيا وخارجها، والتى سببت لها الممارسات الاستعمارية بالغ الضرر، ويؤكد رودنى على الآثار السيئة للفترة العنصرية ومن بعدها ممارسات البرجوازية الصغيرة على وحدة تلك الطبقة[٤].

وفى الكتابات الأولى لرودنى كانت الطبقة الدنيا هى الطبقة العمالية ذات

(1) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.26-28.
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.126 & 127.
(4) **Ibid,** p.119.

الأصول الأفريقية الخالصة- كما سبقت الإشارة - ومن نتج عن تلك الفئة الأفريقية، وهذا هو المفهوم الذى كان سائداً فى الفترة الاستعمارية ليسهل التحكم فى الدول الصغيرة[1]، لذلك رفض فى هذه المرحلة العناصر والإثنيات المختلفة التى أتت بعقود من شرق آسيا للعمل فى أفريقيا والكاريبي أن تصُنف داخل هذه الطبقة، مؤكداً على أن الانتماء اللونى هو الأساس فى التقسيم الطبقى، ويربو فى أهميته على عناصر كالنشاط الاقتصادى، والدين، واللغة، والثقافة، والموطن....الخ[2]. ومع أن البرجوازية الصغيرة ومن ينتمى إليها هم من السود، لكن تشبعها بالقيم الرأسمالية واتباعها لسياسات الرأسمالية العالمية جعل رودنى يخلع عنها الصفة اللونية[3]، ولكن حدث تعديل فى رؤى رودنى فى مرحلة متقدمة.

وفى مراحل متقدمة من كتابات رودنى، وبسبب تراجع الاستعمار بشكله التقليدى، والحاجة لطبقة موحدة تقود حركة الصراع الطبقى لتطوير المجتمعات، وتعرض الملونين لذات الخبرات العنصرية وسوء الحالة الاقتصادية تراجع عن الاهتمام بالاختلافات والصراعات الإثنية لصالح أن يكون هناك تماسك طبقي بين الجماعات التى تتكون منها الطبقة العاملة، إذ يقول: «أعتقد أن هناك مستويين على الأقل نستطيع أن نتحرك عليهما حتى نتصدى لمثل تلك المنازعات الإثنية، إذ لابد أن يحدث قدر من التنظيم داخل الجماعة الأفريقية وداخل الجماعة الهندية حتى يتم الوصول إلى أشكال مختلفة من الوعى، وأنماط مختلفة من الأسس الاجتماعية، والتى ستصبح أسس الدولة الجديدة والتى سوف تصبح متزامنة، ولابد من إيجاد ميكانزمات ثورية تكاملية فعالة وذلك وفقاً للمفاهيم الأيديولوجية والتنظيمية، وكذلك وفقاً لمفاهيم الشعب، حتى يصبح للجميع إسهام فى مفاهيم الوعى الذى

(1) **Ibid,** p.112.
(2) Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People 1881-1905, **op.cit.,** p.186.
(3) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.66.
& - Alex Dupuy: **op.cit.,** p.113.

للجماعة، ويصبح لهم إسهام فى قوة الجماعة»[١]، ولذا تراجع عن الحديث عن التنافس بين «المهاجرين» و«المنحدرين» Creoles لصالح الحديث عن طبقة عمالية واحدة، مؤكداً على أن خبرة الصراع السابقة بين المجموعتين كانت بسبب أن المجموعتين مأسورتان بالرؤية الغربية لكل منهما بما أثر على مدركات المجموعتين، وبخاصة على الأفارقة وعلى نظرتهم للملونين فى كونهم بديلاً لهم، بما سيؤثر على الوضع الاقتصادى لهم .

كذلك حاول رودنى أن يصل إلى الوحدة الطبقية بين العمال بذات الأدوات والآليات التى استخدمها الغرب فى التأثير على وحدة هذه الطبقة وهى الانقسامات اللونية والإثنية، وأكد على أن الرؤية الغربية للون هى أن كل ما هو غير أبيض هو أسود، ولا تمييز على أساس قبلى أو إثنى[٢]، ولذلك نظر إلى الأسود باعتباره كل ما هو غير أبيض[٣]، وبدأ الحديث عن إمكانية أن تقوم بعض الفئات بـ«الانتحار الطبقى» Class Suicide للجماعات الملونة، بمعنى أن يختار بعض من هذه المجموعات التى ارتبطت بالبرجوازية الصغيرة أن يرجع للوحدة والاندماج مع القوة السوداء[٤]، ويصبح الهدف هو رفع مستوى وعى هذه المجموعات بأهمية وضرورة وحدة الطبقة العاملة فى مواجهة الطبقة المسيطرة، وتوجيه إدراك هذه الفئات للمنافع من هذه الوحدة، والتأكيد على ضرورة مؤسسية هذه الوحدة الطبقية[٥].

كما أكد رودنى على أن الدول الاستعمارية نجحت فى استخدام الاختلافات اللونية والإثنية لمنع ظهور طبقة البروليتاريا الوطنية، إلى جانب أن المناخ لم يكن يسمح بظهور الطبقة البرجوازية الوطنية أو الرأسمالية الوطنية التى يمكن أن تحقق

(١) Nigel Westmaas: **op.cit.,** p.7.
(٢) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.16.
(٣) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54.
(٤) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.113.
(٥) Clive Thomas: **op.cit.,** p.11.

الاستقلال الاقتصادى للدول بعد انتهاء الاستعمار، ولذلك بدأ رودنى التأكيد على أهمية اتباع عدد من الممارسات والآليات التى تهدف إلى الوحدة، وتحد من آثار الفوارق الطبقية[١]، ولذلك عمل على تقديم نماذج نظرية وعملية لهذه الآليات منها الوعى الأسود الإثنى، وأكد على أهمية حركة القوة السوداء ودورها فى توحيد القوى العاملة، وكذلك دور المؤسسات والاتحادات العمالية وضرورة سيطرة العمال عليها لتصبح مؤسسة تعبر عنهم وتسهل الوحدة بينهم[٢]، ومن الأمثلة العملية التى قدمها رودنى ائتلاف الشعب العامل WPA والذى كان يهدف إلى الوحدة بين الطبقة العاملة فى جويانا كخطوة أولى نحو وحدة الطبقة العاملة على مستوى العالم، وهذا يفسر نشاط رودنى الواسع فى هذه المؤسسة، ومحاولة ربط هذا الائتلاف بالمؤسسات الأخرى التى تتشابه معه فى الأهداف[٣]،بل وحاول أن يجعل من هذا الائتلاف المُعبر الرسمى فى البرلمان عن وجهات نظر العمال ومتطلباتهم، لذلك عمل على تحويله إلى حزب سياسي، وهذا ما تم قبل اغتياله بفترة قصيرة.

لقد آمن رودنى بأن الانتماءات الإثنية واللونية والثقافية لن تتوارى تماماً، فالأساس هو التنوع والاختلاف الذى يمكن أن يؤدى إلى صراع فى بعض الحالات، إذ: «ربما يندلع بسببها العديد من الصراعات والممارسات العنصرية، ولكن هذه الصراعات لا تحاكى فى أى من أبعادها العنصرية التى مارسها الأوروبيون على الجماعة الأفريقية والهندية»، ويفسر حدوث هذه الصراعات على أساس المكانة الإنتاجية التى يحتلها العامل فى المنظومة الإنتاجية، ولكنها ليست صراعات إثنية أو لونية بالأساس[٤].

(1) Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People 1881-1905, **op.cit.,** p.180.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.16-18.
(3) Working People Alliance, Guyana-Twenty Eight Years after Walter Rodney, **DayClean Global** (Guyana: Working People Alliance, Vol.2, No.7, June 2008), pp.1-17.
(4) Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.111-113.

ويمكن القول بأن معيار التقسيم الطبقى عند رودنى لم يكن فقط النشاط الاقتصادى، كما هو الحال فى التيار الاشتراكى الكلاسيكى، ولكن يتداخل معه العديد من العوامل كالمكانة الاجتماعية التى تحتلها الجماعة الاجتماعية، والخبرة التاريخية، إلى جانب ميراث العنصرية والممارسات الاستعمارية، والتى كانت من المحددات الأساسية فى تحديد طبيعة وشكل الهيكل الطبقى فى أفريقيا والكاريبي. لم يرفض رودنى هذه المعايير، بل حاول استخدام منطقها النظرى لإيجاد سبُل وحدة الطبقة العمالية على أساس النشاط الإنتاجى مؤكداً: «يجب أن تتوحد الجماعة الاجتماعية فى أشكال منقسمة سياسياً وثقافياً واقتصادياً فى ضوء مفاهيم النظام الإنتاجى...وإن الهوية الإثنية الثقافية ليست المصلحة الجوهرية لهذه الطبقات، إنما المصلحة الأساسية تتم من خلال الهيكل الطبقى والصراع مع الطبقة الحاكمة»[1].

ومع أن رودنى قد اهتم بحركة الطبقات العمالية، وأكد أنها هى التى ستقود حركة التنمية والثورة فى المجتمع، ومع أن العديد من الرؤى والتصورات التى قدمها كان لها الطابع العالمى، لكن يظل التمييز بين الأبيض والأسود من المحددات الأساسية فى الرؤى التى يقدمها، لذلك رفض رودنى وحدة الطبقة العمالية بين ما هو أبيض وما هو أسود، إذ يقول: «بالتأكيد الاختلاف بين البروليتاريا البيضاء والبروليتاريا السوداء ذو أهمية مفاهيمية مثل الاختلاف بين الفئات الوسطى من الفلاحين والفئات الفقيرة، مع أنه اختلاف يسير، لكنه اختلاف مهم سياسياً، لذلك يجب أن يكون الاختلاف بين الطبقة العمالية البيضاء والطبقة العمالية السوداء مهم سياسياً أكثر من الاختلاف بين شرائح طبقة الفلاحين الفقيرة والوسطى والدنيا»[2].

(1) **Ibid,** p.121 & 122.
(2) Walter Rodney: **History is Weapon,** Selection from Walter Rodney's Speeches, p.14 & 15,at:
http://www.historyisaweapon.com/defcon1/rodspesel2.html

المطلب الثانى: دلالات ونتائج وآثار التقسيم الطبقى على الواقع الاجتماعى

اختلفت الرؤى والتصورات التى قدمها رودنى حول التقسيم الطبقى عن أسس تقسيم الطبقات التى للتوجه المركسى الكلاسيكى والذى كان معيار النشاط الاقتصادى هو الأساس فيه دون النظر للمعايير الأخرى، حيث يقترب رودنى فى التصورات التى قدمها من الماركسيين الجدد[1]، فمن النقاط الأساسية التى أكد عليها التوجه الماركسى ضرورة الوعى الطبقى العمالى بطبيعة التكوين والأهداف والآليات التى لهم[2]. لكن رودنى يرى أن الطبقة العاملة فى أفريقيا ودول الكاريبي -والتى تقترب عنده من مفهوم السود- كانت لها خبرات تاريخية ومؤثرات استعمارية وعنصرية جعلت هناك تقارباً (يصل لدرجة التطابق فى بعض الأحيان) بين الانتماء الإثنى/ اللونى والانتماء الطبقى، ويصل من ذلك إلى نتيجة مؤداها أن الطبقات الاجتماعية التى وجدت فى هذه المناطق تفتقر لـ«الوعى الطبقى»، وإدراك أهمية تشكيل طبقة واحدة، وأن الوضع الطبقى المشوه الذى تم تكوينه فى أثناء الفترة الاستعمارية له العديد من الآثار لسلبية، لعل من أهمها:

أولاً: علاقة الهيمنة المحلية والاشتراكية الزائفة:

يؤكد رودنى على أن معظم الطبقات العاملة فى دول القارة ودول الكاريبي

([1]) Look and Compare between:
- Eric Olin Wright: **the Foundations of Neo-Marxist Class Analysis.** at:
http://www.ssc.wisc.edu/~wright/Chapter%201%20--%20Wright%20Jan%202004.pdf
- Vol Buris: the Neo-Marxism Synthesis of Marx & Weber on Class, In Nobert Wiley (ed.): The Marx-Weber Debate (London: Sage Publications, 1987), pp.67-85.

([2]) Alan Shandro, Lenin and Marx: Class Struggle, the Theory of Politics and the Politics of Theory, in Darly Gloser & David M. Walker (eds.): **Twentieth Century Marxism: Global Introduction** (London: Routlege, 2007), pp.15-28.

افتقدت إدراك أهمية وحدة تلك الطبقة، وأهمية صراعها مع الطبقة الحاكمة والتى تحل عنده محل البرجوازية فى الفكر الاشتراكى؛ لأنها المسيطرة اقتصادياً فى هذه الدول، وكان لهذا عظيم الأثر على مكانة هذه الطبقة وطبيعة تكوينها[١]، وبذلك ظلت الطبقة المقهورة الـ«Unprivileged» هى التى تتعرض للممارسات العنصرية الاستعمارية، بل حاولت الطبقات الاستعمارية والبرجوازية الصغيرة أن تستخدم فئات من العمال من الخارج Indentured فى تأجيج هذه الصراعات بين الفئات التى تتكون منها الطبقة العاملة من خلال الإعلاء من الولاءات اللونية الإثنية تجنباً لبروز ولاء ووعي طبقي عمالي يمكن أن تتوحد تحت مظلته هذه الطبقة، ولذلك لم يستطع أعضاء تلك الطبقة أن يجدوا السبل المؤسسية والمرجعيات الفكرية التى يمكن أن تشكل أساساً لنشاط طبقة عاملة وطنية تقود الصراع وحركة التغيير والتطوير فى هذه المجتمعات[٢].

كما يؤكد رودنى على أن سياسة «فرق تسد» التى طُبقت من القوى الاستعمارية هى جزء من التناقض العالمى بين البروليتاريا والبرجوازية، وكان هدف رأس المال هو خلق الانقسامات داخل الطبقة العاملة محلياً، وبذلك يحقق المصلحة الخاصة به وهى الحفاظ على نمو رأس المال دون أى شيء آخر[٣]. وقد حافظت البرجوازية الصغيرة على ذات الاستراتيجيات حتى تضمن تحقيق التراكم الرأسمالى والبقاء فى السلطة، لذا «فقد صمم هؤلاء الأشخاص السياسات والقرارات التى تخدم رفاهيتهم الخاصة...وتم تقليص السياسات لتصبح هى أداة وفن التلاعب»[٤].

كذلك يقدم رودنى أمثلة تطبيقية على تطابق المصالح بين البرجوازية الصغيرة

(1) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **op.cit.,** pp.14-16. & - Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People, 1881-1905, **op.cit.,** pp.174-180.
(2) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.65 & 66.
(3) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.52.
(4) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.66.

والرأسمالية العالمية، وتدخل الأخيرة فى الحفاظ على هيمنة الأولى، فمثلاً حالة النظام السياسى فى جويانا وكيف تدخلت بريطانيا للحيلولة دون استمرار الحزب التقدمى الشعبى PPP فى السلطة بعد أن فاز بانتخابات عام ١٩٥٣، كما عملت على اعتلاء فوربيس بورنهام السلطة والاستمرار فيها حتى عام ١٩٨٥ من خلال التعديل فى النظام الانتخابي[١]، وكان هذا هو الحال مع عيدى أمين فى أوغندا، ومانجستو فى إثيوبيا، وسياد برى فى الصومال، وموبوتو سيسيكو فى الكونغو الديمقراطية، وحالة شيرارShearer فى جاميكا، لذا فإن الهيمنة والسيطرة المحلية لنخبة بعينها هى انعكاس للهيمنة والسيطرة العالمية للرأسمالية، وتهدف لذات الأهداف من استمرار أقلية (من الدول ومن الفئات الحاكمة) فى السلطة وموطن القوة لخدمة مصالحها الخاصة.

ويؤكد رودنى على أن البرجوازيات الصغيرة قد أيقنت أن من يحاول منها الخروج عن النهج الغربى سيفقد مكانه والدعم الخارجى له، بل ويمكن أن يواجه بحروب داخلية، لذلك أبدى تقديره للنظام السياسي فى تنزانيا وخروجه عن النماذج الرأسمالية واتباعه للأوجاما. وكذلك النظام السياسي فى كوبا وتحديه للرأسمالية العالمية، وفى ذات النطاق يرفض رودنى السياسات الزائفة التى يتبعها بعض النظم ويطلق عليها الاشتراكية، ويرى أن الحكومات ترفع رايات دون أن تهتم بالقضايا الشعبية أو أن تسعى لرفع مستوى الوعى الطبقى، ويؤكد على أن تلك الاشتراكية الزائفة هى أشد خطراً من وجود حزب فى السلطة يطبق سياسات ضد مصلحة الطبقة العاملة؛ لأن هذه الاشتراكية ستؤدى إلى حالة من الغوغائية فى حركة الجماهير والعمال، مما سيفضى إلى بناء الطبقة الحاكمة فى السلطة، بل وستتجه فى الكثير من الحالات إلى الممارسات الديكتاتورية[٢].

---

(١) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.122.
(٢) Clive Thomas: **op.cit.,** pp.5-7.

ثانياً: إجهاض تكوين الطبقات الوطنية لمنع الثورة الاجتماعية:

حتى تصل الطبقة العاملة إلى الثورة الاجتماعية لابد لها أن تكون على درجة من التجانس فى التكوين والهيكل المؤسسى والمطالب، وكذلك فى إدراكها لأدوات الصراع الطبقى[1]، وهذا ما شهد العديد من أوجه التعثر بسبب سياسات البرجوازية الصغيرة محلياً والرأسمالية دولياً واللتين منعتا رفع مستوى وعى الطبقات العمالية من خلال سيطرتها على أدوات تشكيل الوعى وبخاصة المؤسسات التعليمية، وكذلك رفضها لتطور الهيكل المؤسسى لهذه الطبقة، فقد كان الرفض الدائم لظهور منظمة أو حزب أو مؤسسة لها توجه يسارى لخدمة الطبقة العاملة؛ لأن ذلك يعتبر تهديداً لاستقرار الطبقة الحاكمة، ويقدم موقف الحكومة فى جاميكا وجويانا من رودنى وسياساته دليلاً على ذلك[2]، ولذلك لم تنشأ الطبقات الوطنية، وبدأت بعض البرجوازيات الحاكمة تسُخر بعضاً من المفكرين لتقديم تبريرات لسياساتها، ولنشر أن التهديد الأكبر للشعب يأتى من الماركسية التى ستجردهم من ثرواتهم[3]؛ لضمان سيطرتها واستمرار النماذج التنموية التى تتبعها.

ويؤكد رودنى على أن الرأسمالية ومن بعدها البرجوازية الصغيرة اتبعتا العديد من السياسات التى تحول دون التكوينات الطبقية الوطنية، كان من أهمها السيطرة على الاقتصادات الوطنية، والسماح باستغلالها من الشركات والاستثمارات الأجنبية، وجميعها يهدف أن تظل الطبقة العاملة قيد الاستغلال[4].

وكما سبقت الإشارة انطلق رودنى من معيار أن كل ما هو غير أبيض هو أسود حسب ما يؤمن به الغرب، ومن هنا حاول أن يصل إلى ما يسمى بـ«الزنوج

(1) Alan Shandro: **op.cit.,** pp.18-24.
(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.53.
(3) **Idem.**
(4) Walter Rodney: A History of the Guyanese Working People 1881-1905, **op.cit.,** pp.178-180. **&**
- وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٢٥٣، ٢٦١، ٢٨٥-٢٩٠ .

المتكاملين» والذى يهدف إلى: «حياة متعددة الإثنيات، لكنها متماسكة ومتجانسة، لا يستطيع أى شخص أن يعترض عليها فكرياً، وهذا ما نكافح من أجله»، مؤكداً على أحد الشعارات التى رفُعت: «تذكروا اللون الأسود والانشقاق الذى بيننا»، ولهذا كانت الدعوة إلى «ضرورة اندلاع الثورة والنشاط الدائم من الشعب الأسود الذي أدرك أن النظام لا يملك له سوى القمع والاستغلال»[١].

ويعول رودنى كثيراً على دور المثقفين والمفكرين فى القيام بمجهودات من شأنها رفع مستوى وعى الإثنيات والجماعات الملونة التى تتكون منها الطبقة العاملة، مؤكداً على ضرورة الاتصال بالعمال والوصول إليهم فى الأماكن التى يعيشون فيها، إذ قال: «كانت الجلسات مع إخوتى السود أحد أهم الخبرات التى لى...يجب أن يرتبط الأكاديميون السود بعمل ونشاط الجماهير السوداء...سوف أتحدث كلما أمكن ذلك فى أى مكان نصبح فيه مع بعضنا البعض، فى النوادى الرياضية، فى المدارس، فى الكنائس، فى الحارات التى يلجأ إليها الإنسان الأفريقي، وستكون مضطراً للذهاب إلى هناك إذا كنت تريد الحديث معنا»[٢].

وعن الدور الجماهيرى يؤكد رودنى على استخدام الأدوات السلمية فى البداية وبخاصة استخدام الجماهير أصواتها التى فازوا بها بعد سنوات من الكفاح ليكون التصويت لصالح السياسيين الذين يأملون فى أن يكونوا أكثر استجابة لمطالبهم، ويؤكد على أنه سيُقابل بالرفض من البرجوازية، ولكن يجب أن يتم ذلك بتنظيم المطالب وتنظيم الطبقة العاملة[٣]، ولذا كان ائتلاف الشعب العامل والرغبة فى تحويله إلى حزب سياسي كمثال عملى على قوة وحدة الطبقة العاملة، والسعى نحو الوصول للسلطة بصورة سلمية فى أولى خطوات الكفاح، وإن لم تتحقق مطالب هذه الفئة العمالية بالصور السلمية يكون اللجوء للعنف الذى سيصبح فى هذه الحالة

(١) Walter Rodney: the Groundings wi.h My Brothers, **op.cit.,** p.16 & 61.
(٢) **Ibid,** p.63 & 64.
(٣) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54.

مشروعاً[1]، ولذا يؤكد على: «القوة السوداء فى مواجهة القوة البيضاء، لابد للسود من قوة تتناسب مع عددهم عالمياً، وكذلك على المستوى المحلى...لابد للشعب الأسود أن يجاهر بالمطالبة بحقه، فالهدف عندهم أن يضعونا فى موقف الدفاع ونصبح صامتين، كيف يمكن أن تصبح مقهوراً وصامتاً؟...لابد للسود من أن يبدأوا فى الطابع الهجومى، وإن كان لأحد أن يخجل فليكن الأبيض، هل قام السود بحرق ستة ملايين يهودى؟، من الذى أباد الملايين من سكان أمريكا وأستراليا؟، من الذى استعبد ملايين ليس لها عدد من الأفارقة؟، لقد تعدى البيض آكلى لحوم البشر بالنسبة للقوة السوداء على مستوى العالم»[2]، والهدف النهائى لرودنى هو الوصول لثورة عالمية يقوم بها ما هو غير أبيض ضد ما هو أبيض على المستوى العالمى[3].

ثالثاً: الوقوف أمام الحراك الاجتماعى والمشاركة السياسية:

يؤثر عدم المساواة الذى يعانى منه بعض الفئات فى جيل بعينه على الأجيال القادمة، وموقع هذه المجموعات فى الهيكل الاجتماعى فى المستقبل، لذلك فإن حصول فئة أو طبقة اجتماعية على موقع اجتماعى أو موارد بعينها أو مواطن قوة فى المجتمع سيكون له تأثيره على الأجيال القادمة، لذا تظل الفئات التى تحصل على ميزة معينة والأجيال القادمة منها لها تقريباً ذات السمات والمزايا فى المجتمعات التى ليس بها حراك اجتماعي وتكافؤ للفرص، إن لم يحدث تغيير ثورى فى المجتمع يعدل من هذه الترتيبات[4]، وهذا ما حدث فى أفريقيا ودول الكاريبى، فقد أفضى التقسيم السابق الإشارة إليه إلى صعوبة الحراك الاجتماعى، وأصبح الأخير يحدث فقط عن طريق العلاقات مع البرجوازية الصغيرة وبسماحها لفئات بعينها، مما أثر فى استمرار

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.8.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.24 & 25.
(3) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.54.
(4) Wendy Bottero: **Stratification: Social Division and Inequality** (London: Routledge, 2005), pp.3-5 & 14-16.

التحيز ضد فئات بعينها، واستمرار العنصرية بأشكال مختلفة ومستمرة[1].

لقد أنتجت تلك الطبقات البرجوازية –وبدعم من الرأسمالية العالمية– اقترابات قسرية تهدف إلى التحكم السياسي فى الدول فى الفترة التالية للاستقلال، وكانت أولى خطوات هذه الاقترابات أن يتم تحويل اهتمام الجماهير إلى صراع إثنى بينى يؤدى إلى إضعاف الحلول الديمقراطية كالمشاركة السياسية، وإمكانية الحراك الاجتماعى وتداول السلطة، ولذلك كان الاختلاف فى توزيع الثروة، ونسب التمثيل السياسي غير المتكافئة بين الجماعات التى يتكون منها المجتمع متعمداً، مما أدى إلى سيطرة فئة على السلطة، وعدم الحراك أو تقدم أية مجموعة إلى تلك السلطة بما يعنى إغلاق سبل الحراك الاجتماعى[2].

ويؤدى تراجع المشاركة السياسية، وصعوبة الحراك الاجتماعى أو تداول السلطة إلى وصول الدول إلى سيطرة الديكتاتورية على نظام الحكم؛ فمن خلال سيطرة هذه البرجوازية على الحياة السياسية واقتصادات الدول ومؤسساتها وهياكلها، وصعوبة الحراك الاجتماعى والمشاركة السياسية ستتولد حالة من الركود بما يفتح المجال للممارسات الديكتاتورية[3]،ويصبح الحاكم فى تلك المجتمعات: «ليس مسؤولاً أمام أي من الأشخاص أو المنظمات أو الهيئات الاجتماعية، بل يعطى انطباعاً بأنه يملك كل شيء، وكل شخص وكل منظمة فى قبضة يده...ويعتقد أنه يفعل الخير والراحة والنفع للشعب...وتختفى الحقوق المدنية تحت الحكم الديكتاتورى، ويصبح الديكتاتور ممثلاً لطبقة معينة أكثر من كونه ممثلاً لأغلبية المواطنين والعمال المقهورين...ولا يوجد مجال للتعبير، ولا يلتزم الديكتاتور بأية قوانين، ولا أية قواعد»[4].

---

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.**, p.52. & - Trevor Campbell A.: **op.cit.**, p.53.
(2) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.**, p.67. & - Perry Mars, **op.cit.**, p.357.
(3) Clive Thomas: **op.cit.**, p.10.
(4) Walter Rodney:People's Power, No Dictator, **op.cit.**, p.65 & 66.

وقد قدم رودنى تصوراً فكرياً يدعم من خلاله حركة الجماهير المقهورة التى تعرضت للخبرات العنصرية، ويسهل المشاركة السياسية وإمكانية الحراك الاجتماعى داخل المجتمعات، ويبدأ هذا التصور من التطور الاقتصادى وظهور أنشطة اقتصادية على درجة من التطور تفى باحتياجات الجماهير العريضة داخل الدول، وليس لخدمة البرجوازية أو استجابة لمطالب السوق الرأسمالى العالمى، ويقصد رودنى بالجماهير هنا الفئات التى ليست لها قوة نابعة من دين أو عمل أو تفوق طبقى أو إثنى، ويؤكد على أن الاحتياجات الأساسية التى سيتم الوفاء بها هى توفير الغذاء والمسكن والكساء، إلى جانب الاحتياجات العامة من تعليم وصحة وخدمات مائية وطرق....إلخ، مما سيؤدى إلى خلق طبقة عمالية على درجة من الوعى تبدأ عند ذاك بالمطالبة بحقها فى عمل اختيارى، ورفض الإجبار فى العمل، وعندها تنشأ شبكة من العلاقات على أساس الصناعة والعمل بالمصانع تصل إلى المطالبة بضمانات لحقوقها فى العمل، وينتهى ذلك بإمكانية الاعتماد على الذات، ومن ثم تُجبر الطبقة الحاكمة على دمقرطة السلطة والمشاركة فى صنع القرار، وتبدأ الفئات العمالية فى ممارسة حقها فى التعبير وتشكيل الأحزاب لتصل فى النهاية إلى توزيع عادل للثروة والدخل وموارد الدولة، وإلى المعرفة ومدخل إلى المعلومات فى الدول، ويصل الفرد إلى التعبير عن رأيه وإمكانياته، ويسعى إلى تنمية ذاته[1].

رابعاً: الهيمنة والسيطرة المحلية هى انعكاس للهيمنة العالمية:

يرى رودنى أن التقسيم الطبقى فى الدول الأفريقية الذى قدمه هو انعكاس لتقسيم عالمى بين دول مسيُطرة ومسُتغلة هى الدول الرأسمالية التى تسيطر على الاقتصاد العالمى وعلى المؤسسات المالية العالمية، وتسيطر بقوتها على النظام العالمى، ويخص بالذكر الولايات المتحدة التى ورثت بريطانيا فى التوسع الإمبراطورى لها،

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.9 &10.

وهذه تناظر البرجوازية الصغيرة على المستوى المحلى، وعلى الجانب الآخر هناك الدول التى تُستغَل وتُقهر، فهناك دول تضع السياسات ودول عليها أن تتبع تلك السياسات، إذ يقول: «كنا نحن (السود) من أكثر القطاعات قهراً فى المجتمع، لأننا نتاج مجتمع الرق، ومازالت تركة الرق على كاهل الإنسان الأسود»[1]، فالتقسيم العالمى بين الأبيض والأسود هو المسئول عن هذه التركة الاجتماعية داخل المجتمعات المحلية، لذا يقول: «منذ البد ية كان المجتمع الأبيض يحدد من هو أبيض ومن هو أسود...وإن لم يكن الإنسان أبيض فهو أسود، دون النظر لكونك أسوداً أم لا، لكن الشعب الأبيض هو من يقرر، أو بمعنى آخر القوة البيضاء»[2].

ويؤكد رودنى على أن تصنيف الدولة على أنها سوداء أو مخالفة للرأسمالية العالمية سيصبح هو المعيار والمحدد الأهم فى قوتها ووجودها، وفرصها على الساحة الدولية، وفرصها التنموية فى المستقبل، وكذلك الحال على المستوى المحلى، فعندما يصنف الفرد على كونه أسوداً تصبح هى الصفة الأهم فى تحديد فرصه المستقبلية، إذ يقول: «عندما يقول الأبيض عن فرد أنه أسود تصبح هى الصفة الأكثر أهمية من أى شىء آخر...مع أن الإنسان الأبيض لا يستطيع أن يميز بين إنسان أسود وآخر؛ لأنه جاهل...لكن يفسر لنا ذلك نية الغرب أن ينكر شخصيتنا، فهو ينكر علينا أن نكون أشخاصاً ولنا آدميتنا»[3]، وعلى المستوى العالمى تناول التمييز بين الدول والأقاليم بذات المعيار اللونى، إذ يقول: «نحتاج إلى النظر وبدقة لطبيعة العلاقة بين اللون والسلطة فى العالم الإمبريالي...كل دولة من الدول المُسيطرة بها الأغلبية من سكانها من البيض، مثال ذلك الدول التى فى أوروبا وأمريكا، فى حين أن الدول المُسيطَر عليها بها الأقلية من البيض فى حين أن الأغلبية الكاسحة من السود كما هو الحال فى آسيا وأفريقيا وغرب الإنديز...لذا تظل القوة فى يد القوة البيضاء، وتتم ممارستها

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.25.
(2) **Ibid,** p.16.
(3) **Ibid,** p.17.

على السود(غير البيض)»[1].

إذن يؤمن رودنى بأن السيطرة الداخلية للبرجوازية هى انعكاس وبدعم من سيطرة الرأسمالية البيضاء على المستوى العالمى، إذ يؤكد على: «إن التقسيم الدولى فى النظام الرأسمالى العالمى قد تم على أساس من الهيراركية الإثنية والطبقية التى تعبر عن نفسها أيضاً على المستوى الوطنى»[2]، وقد كانت السياسات الرأسمالية تنعكس فى محاولات البرجوازية الصغيرة الداخلية للحفاظ على هذا التقسيم، وأن تظل هناك فئات مسُيطرة وفئات مقهورة ومسُيطر عليها؛ إذ يقول: «حصلت البرجوازية الصغيرة المستقلة حديثاً على أدوات الدولة والمجتمع والفائدة الاقتصادية...وكانت هناك أوجه ارتباط بين البرجوازية المحلية الصغيرة والنظام الرأسمالى العالمى»[3].

وينطلق رودنى مما سبق للتأكيد على ضرورة القوة السوداء حتى تصبح مكافئة للقوة البيضاء على المستوى الداخلى والدولى، ويمكن أن تكون أساس الوحدة السياسية السوداء، والاستفادة من الدروس التاريخية، ورفع مستوى الوعى لدى الجماهير السوداء، وهذه الأدوات يمكن أن يتم استخدامها لجعل المواجهة بين القوتين لها أبعاد دولية ليس على المستوى الداخلى فحسب[4]، ولذلك يؤكد على أنه: «يجب أن تصبح لنا أهمية سواء نتيجة القوة أو نتيجة تغير الظروف، وأن يصبح لنا دور فيما يمكن أن نطلق عليه بصورة أوسع الثورة العالمية، أو حركة الجامعة الأفريقية، أو أى حركة تهدف إلى التعجيل بالتغيير الدياليكتيكى للرأسمالية وسيطرة المجتمع الأوروبى، إلى أن تستطيع شعوبنا -سواء أكانوا العمال أو الشعوب الأفريقية أو شعوب العالم الثالث جميعا- أن تشارك كلية»[5].

(1) **Ibid,** p.18.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.114.
(3) Hakim Adi & Marika Sherwood: **op.cit.,** p.167.
(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.16. **&-** Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.59.
(5) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.58.

إذن الحل عند رودنى يكمن فى امتلاك قوة منظمة ناشئة عن وحدة طبقة مقهورة هى الطبقة العاملة لتكون نواة لقوة شعبية جماهيرية بين كل ما هو غير أبيض، مع عدم إعطاء القوة الخارجية الفرصة فى أن تتدخل فى الشؤون الداخلية، وذلك من خلال تحرك الشعب بشكل منظم[1]، وهذا الشكل سيحقق للشعب التماسك، ويكفل له القدرة على الحراك الاجتماعى والمشاركة السياسية، لذلك يؤكد الكثيرون على أن رودنى تخلى فى كتاباته الأخيرة عن المنظور الثقافى الوطنى لصالح المنظور الماركسى الديمقراطى بشأن مناقشة قضية التكوين الطبقى، وهو المنظور الذى يؤكد على إمكانية أن تتآكل وتتراجع الانتماءات الإثنية فى ضوء تقسيم طبقى أوسع يمكن أن يصل إلى العالمية، وهذا ما سمح له بتقديم أجندة سياسية تغييرية تصل إلى الثورية فى بعض الأحيان.

ويمكن القول فى النهاية بأن اهتمام رودنى بالعلاقة بين العنصرية الإثنية وأثرها على التكوين الطبقى فى المجتمعات السوداء هو انعكاس لرؤاه واهتمامه بدراسة العلاقة بين أفريقيا والغرب، أو بعبارة أخرى طبيعة العلاقة بين الأبيض والأسود، إذ نجحت القوى الغربية فى إدارة الاختلافات الإثنية والتعددية اللونية فى بعض المجتمعات لتحقيق أهداف سياسية، وهذ ما سمح بتشوه العديد من أسس الهيكل الطبقى الذى كان قائماً فى القارة وتطوراته المستقبلية، ولذلك حاول أن يقدم الرؤية التى تجعل الجماعات السوداء تتجاوز الاختلافات التى بينها بهدف الوصول لبناء قوة عالمية تسمى القوة السوداء لتوازن القوة البيضاء، ويرى أن الوحدة والنضج الطبقى بين الطبقة التى لاقت أشد الممارسات العنصرية من هذه القوة البيضاء ستكون هى النواة الحقيقية ونقطة الانطلاق للقوة السوداء، والتى يمكن أن تصل فى النهاية إلى صراع أو ثورة سوداء عالمية ضد كل ما هو أبيض.

(1) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.**, p.78.

يمكن القول من محصلة العرض السابق لرؤى وتصورات رودنى أن عدم التكافؤ وسيطرة الغرب عالمياً من السمات الأساسية التى يؤكد رودنى على أنها طبيعة العلاقة بين أفريقيا والغرب، وأن ذلك كانت له انعكاسات داخلية على واقع الدول اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً بشكل تماثل آثاره على دور هذه الدول على المستوى العالمى، وقد أكد أيضاً على استمرارية ذلك طالما استمرت الدول بدون قوة تعبر عنها وتجابه تحديات الرأسمالية العالمية، وتكون الوحدة على المستوى الاجتماعى الطبقى وعلى المستوى السياسي من الآليات الأساسية التى سوف تحد من سيطرة الرأسمالية العالمية التى يجب أن تتبنى دول القارة نماذج تنموية تختلف عنها، وتكون هذه النماذج التنموية عند رودنى لها الصبغة الأفريقية الخالصة والتى تتخذ من التاريخ وإدراك القيم الثقافية التى لنا مصدراً لها، ومنها تكون القوة السوداء لها الشكل المؤسسى الوحدوى، ولها المرجعية الفكرية التاريخية والتى تستطيع من خلالها الوقوف فى وجه القوة البيضاء العالمية، وهذا هو موضوع الفصل الثالث من الدراسة حول سبل تعديل وتصحيح ما فى العلاقة بين أفريقيا والغرب من مثالب فى رؤى وتصورات وولتر رودنى.